المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق
العدد ١٨ ، الإصدار الأول (٢٠٢١)
الرقم الدولي التسلسلي: ٢٣١٤-٧٠٢٤
الرقم الدولي التسلسلي الإلكتروني: ٢٦٨٢-٢١٨٠

قليني فهمي باشا (١٨٤٢-١٩٥٤م): حياته وأعماله.

إسلام عاصم عبد الكريم بيومي

أستاذ مساعد – قسم الإرشاد السياحي
المعهد العالي للسياحة والفنادق وترميم الآثار بأبي قير – الإسكندرية

الملخص

يلقي هذا البحث الضوء على أحد أعلام الوحدة الوطنية المصرية، وهو قليني فهمي باشا (١٨٤٢-١٩٥٤م)، الذي نشأ في المنيا، وتعلم في القاهرة وترقى في المناصب حتى أصبح من الشخصيات المؤثرة في السياسة والمجتمع المصري. إذ وبالرغم من أهمية هذه الشخصية السياسية، وتأثيرها في فترة تاريخية مهمة وطويلة زادت عن نصف قرن؛ إلا أن الدراسات التاريخية لم تلقي الضوء على سيرته وأعماله ودوره السياسي والمجتمعي، الا من بعض الدراسات القليلة التي اشارت إلى كتبه ومذكراته بصورة هامشية؛ لذا يهدف هذا البحث لدراسة سيرته الذاتية وأهم أعماله وآثاره، من خلال بعض المصادر المعاصرة لفترة حياته، ومن خلال الرجوع إلى جميع مؤلفاته ومذكراته المنشورة في حياته، والتي استطاع البـــاحث الوصول اليها، كما تهدف هذه الدراسة إلى استخلاص ما يعين المرشد السياحي في عمله من سيرة قليني فهمي باشا وعلاقته المباشرة بحكام مصر والمواقف التي جمعته معهم ومع الطبقة الحاكمة، لتكون تلك الدراسة أول دراسة علمية تلقي الضوء على هذه الشخصية الوطنية وتستثمر سيرته في إثراء المحتوى التاريخي عند المرشد السياحي بواحد من الأمثلة الواقعية التي تدلل على التسامح بين عنصري الأمة، خصوصًا وقد تتبعت الدراسة اعماله الخيرية، والتي يتوجها بنائه لمسجد كان يحمل اسمه في مسقط رأسه في المنيا؛ كما يفتح هذا البحث مجالات أكبر من الدراسة التاريخية لرواياته المتعلقة بقضايا وطنية مختلفة.

الكلمات الرئيسية: المسيحيون؛ الأقباط؛ المنيا؛ التسامح؛ الوحدة الوطنية.

المقدمة:

يعد قليني فهمي باشا (لوحة:١) واحدًا من الشخصيات المصرية البارزة التي عاصرت فترةً مهمة من تاريخ مصر الحديث امتدت من عصر الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) وحتى ثورة ١٩٥٢م؛ فقد كان قريبًا من صناع القرار السياسي، ومشاركًا في اتخاذه

خصوصًا تلك القرارات التي تخص الأقباط،[1] واقتراحاته في المجالس النيابية التي كان عضوًا بها ولاقى بعضها القبول والنجاح، فقد كان ذو تأثير إيجابي في المجتمع المصري، فضلًا عن دوره الخيري المثالي، وقيادته للتسامح والحفاظ على روح الترابط والود والاتحاد بين عنصري الأمة المصرية، ولعل بنائه مسجدًا في مسقط رأسه يبرهن على روحه الوطنية.

لوحة ١: قليني فهمي باشا متشحًا بنياشينه وأوسمته

يعتبر قليني فهمي باشا واحدًا من القلائل الذي سطروا حياتهم وأهم أحداثها ليس في كتاب واحد بل في عدة كتب كما سيرد تفصيلًا فيما بعد، وهو ما أرجعه في مقدمات بعضها من حوله بأن يكتب للأجيال اللاحقة المواقف التي مر بها بشخصه وتمس أوقات مهمة في تاريخ مصر، وكان في استجابته للأمر مكسب كبير لمؤرخي تلك الفترة المهمة في تاريخ الامة المصرية، إلا أن كتاباته لم تدرس بطريقة علمية وتحليلية تاريخية إلا بصورة هامشية بسيطة لا تتعدى الإشارة إلى بعض مؤلفاته (Goldschmidt, 2000, 255-256)، أو الإشارة إليها كأحد كتب المذكرات التي يتوجب تناول بحذر كمصدر تاريخي (Goldschmidt, 2005, 476) أو الاعتماد عليه كمصدر يستشهد به لدرء الانتقادات على شخصية انتقد أفعالها المعاصرون والمؤرخون مثل شخصية محمد سلطان باشا[2](١٧٨٨-١٨٨٤م) (Hamada, 2014, 9)، لأن تلك الكتابات قد لا تتسم بالموضوعية، إذ تخضع لرغبة كاتبها في نقد الأعداء، أو مدح الحكام لمداهنتهم، وهو ما أخذه الباحث بعين الاعتبار، وتجنب ما ذكره فهمي قليني باشا بغرض الدفاع أو الهجوم على شخصيات تاريخية بصورة غير موضوعية، والتي تحتاج إلى دراسات تاريخية كثيرة لتتناولها بصورة تحليلية لكثرتها، إذ يعد هذا البحث بداية لتناول كتابات هذه الشخصية الوطنية بصورة أكثر تعمقًا بوصفه مصدرًا مهمًا، يمثل وجهة نظر مختلفة بصفته قبطيًا من صعيد مصر؛ كان لفترة طويلة همزة الوصل بين الكنيسة القبطية والحاكم، فضلًا عن تنوع القضايا التي تناولتها كتبه والمتصلة بصورة مباشرة بتاريخ مصر

[1] استخدم الباحث كلمة "قبطي" في البحث للدلالة على المسيحي المصري، وكان هذا هو مدلول اللفظ في الفترة الزمنية التي عاشها قليني فهمي باشا، إلا أنه من المهم الإشارة إلى أن استخدام المصطلح بذلك المعنى في البحث؛ لا يَعني تجاهل الباحث لأصل كلمة "قبطي" والتي تعني "مصري" دون تحديد الديانة؛ لذا فالصحيح ان نطلق علي قليني فهمي باشا قبطيًا مسيحيًا، إلا أن الباحث اوجد أن ذلك قد يسبب التباسًا عند البعض، نظرًا لوجود بعض الاستشهادات بالبحث التي تستخدم كلمة قبطي بمعنى مسيحي مصري.

[2] ولد في قرية زاوية الأموات في المنيا، ترقى في المناصب من نظارة قسم قلوصنا في عهد محمد سعيد باشا، ثم ووكيلًا لمديرية بني سويف ثم مديرًا لها، ثم مديرًا للغربية ثم أسيوط ثم وكيلًا لتفتيش الوجه القبلي وناظر لجفالك الخديوية في الصعيد ثم مفتش لمديريات الوجه القبلي، ثم أوشي به فأبعده الخديو إسماعيل كرئيس لمجلس الخرطوم، ثم شفع له الخديو توفيق فعاد لمسقط رأسه في المنيا ثم عين مرة أخرى كمديرًا لبني سويف، وفي عصر الخديو توفيق ترأس مجلس شورى النواب، وكان له دور واضح في مجابهة الثورة العرابية، في استمالة المشايخ والعمد بالترغيب والترهيب، كما ساعد القوات البريطانية في هزيمة عرابي باشا في التل الكبير، ونال النياشين والتكريمات لدوره في هزيمة أحمد عرابي باشا (١٨٤١-١٩١١م)، مثل الوسام المجيدي من الطبقة الأولى من الخديو توفيق ونيشان القديسين جورج وميشيل من الحكومة البريطانية، وفي أواخر أيامه عُين رئيسًا لمجلس شورى القوانين، وهو والد هدى شعراوي (١٨٧٩-١٩٤٧م) وخال زوجها علي باشا شعراوي (ت.١٩٢٢م)، وتوفي في النمسا في ١٩ أغسطس ١٨٨٤م، وكان يرافقه حينها قليني فهمي باشا، كما ذكرت هدى شعراوي في مذكراتها(Shaarawi, 1987, 139).

السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي في أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

وعلى ذلك، يتناول البحث في البداية سيرة قليني فهمي باشا المتضمنة لنشأته وتعليمه وحياته المهنية، ثم يتناول البحث أهم مشاركاته في الحياة السياسية المصرية من مواقف جمعته مع حكام مصر والطبقة الحاكمة وآرائه في البرلمان المصري، والتي أوردها في مؤلفاته بصورة موضوعية، ثم يتناول البحث ظروف وفاته، وأهم ما ترك قليني فهمي باشا بعد وفاته سواء وقفه الخيري ومنشأته أو من مؤلفات والتي تعد المصدر الرئيسي للبحث، ليخلص الباحث في النهاية إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي من شأنها أن تحقق الهدف من هذه الدراسة، وهو إثراء المحتوى التاريخي الذي يستخدمه المرشد السياحي عن فترة تاريخية مهمة تمتد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على وجهة نظر جديدة في أحداث تاريخية متنوعة تفتح المجال لأبحاث تاريخية متعمقة في الإطار السياسي والاقتصادي والخيري.

أولا: النشأة:

اتفقت المصادر أن قليني فهمي باشا ولد في نزلة الفلاحين بمركز مغاغة بمديرية المنيا (فهمي، ١٩٢٦ ٣١٠؛ FO.371/23362, 1939, 15؛ FO.371/53313, 1946, 13)، في حين اختلفت المصادر حول عام ميلاده، فذكر آصاف (١٨٩٠، ٣١٧) أنه ولد عام ١٨٥٨م، أما الوثائق البريطانية فذكرت أن ولادته كانت في عام ١٨٤٢م (FO.371/23362, 1939, 15؛ FO.371/53313, 1946, 13)، في حين ذكرت مصادر أخرى أنه ولد عام ١٨٦٠م (البيان، يونيو ١٩١٤، ٢٠؛ فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٦).

لعل التضارب بين المصادر حول عام ميلاده، ناتج عن عدم توافر أي معلومات عن والديه، فلم يذكرهما البتة في أي من مؤلفاته، بل ذكر أن "جده" هو يوسف بك عبد الشهيد، والذي كان عمدة قرية نزل الفلاحين(حسني، ٢٠١٧، ١٩)، في حين ذكر آصاف (١٨٩٠، ٣١٧) وغيره، أن يوسف بك عبد الشهيد هو والده وليس جده، مما يُحدث ارتباكًا في تحديد والده، فلماذا أصر قليني باشا على ادعاء أنه جده في حين أجمعت المصادر على أنه والده، فعائلة "عبد الشهيد" في المنيا هي واحدة من كبريات العائلات القبطية الارثوذكسية في صعيد مصر(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٧)، إلا أن القسم السياسي بمكتب الخارجية البريطانية، ذكر في تقاريره السرية(FO.371/23362, 1939, 15؛ FO.371/53313, 1946, 13)، أن قليني فهمي باشا قد انتقلت ولايته صغيرًا من عائلته إلى يوسف بك عبد الشهيد مقابل "كيلتين من الشعير"، وهو ما يُقدم تفسير هذا التضارب فيما أوردته المصادر، فيوسف بك عبد الشهيد استطاع أن ينال تنازلًا من ولي أمر قليني، وهذا يقود إلى احتمال قوي بأن قليني فهمي ولد في أسرة فقيرة في نزلة الفلاحين، اضطرتها الظروف إلى التنازل عن أحد أبنائها مقابل ما يسد رمقها، ولعل هذا ما جعل قليني فهمي يدعو يوسف بك عبد الشهيد بجده، وسكت عن أمر والديه تمامًا.

كما لم يذكر قليني فهمي في أي من كتبه عام ميلاده، وقد نعزو ذلك إلى أنه نفسه غير متقين منه. ولعل البحث في موضوع والده، قاد إلى التفكير في اسمه، هل هو اسم مركب أم أن فهمي هو اسم والده؟ فاسمه

الأول "قليني" يُرجَح أنه جاء نسبة إلى الشهيد أبسخيرون القليني، الذي توجد كنيسته الأثرية في قرية "البيهو" بمركز سمالوط بالمنيا،[3] فهل اسمه الثاني "فهمي" هو اسم والده أم الاسم الدنيوي في حال اعتبرنا الأول هو اسم ديني، ويُعضد أمر الاسم المركب أنه في كل مؤلفاته كتب اسمه "قليني فهمي باشا"، بوضع اللقب التشريفي الخاص به "بك" أو "باشا" بعد اسمه الثاني، مما يرجح أن الاسم مركب، الذي التزم به، كان مقصودًا حتى لا يضع اسم من رعاه "يوسف بك عبد الشهيد" كوالده.

وبغض الطرف عن والديَّ قليني فهمي باشا، فإنه عاش في كنف يوسف بك عبد الشهيد، الذي كان من المقربين من الخديو إسماعيل وأحد أركان حكومته(فهمي، ١٩٢٦، ٣١٠)، وعين مديرًا لديوان القضايا بمديرية المنيا (فهمي باشا، ١٩٤٣، جـ١، ١٤)،[4] ليكون من اوائل الأقباط الذين يُعيَنون في المحاكم الاهلية، بعدما قرر الخديو إسماعيل تغيير ما كان معمول به من قبل من اقتصارها على المسلمين فقط؛[5] وعليت منزلته عن الخديو، خصوصًا عندما عرف عن ذكائه وهمته من أعز اصدقائه الشاعرين الشهيرين الشيخ علي الليثي،[6] والشيخ علي ابو النصر،[7] ومن العالمين الكبيرين الشيخ عيسى والشيخ محمد العباسي المهدي الذي جمع في عصر الخديو إسماعيل بين الافتاء ومشيخة الازهر، ليصبح من المقربين عن الخديو (فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٢)، ويرقيه ليكون مديرًا لمديرية المنيا[8](فهمي باشا، ١٩٤٣، جـ١، ١٤-١٥)، التي تطورت بسبب اهتمام الخديو إسماعيل بها؛ بعد مد خط السكك الحديدية إليها، فكانت المدينة تحوي قصورًا تضاهي في فخامتها مثيلاتها في القاهرة، فلطيب هوائها والمعيشة فيها ولموقعها المتميز أقام فيها الخديو إسماعيل قصرًا لينزل فيه، كما أقام بها مدرسة. وأصبحت مديرية المنيا رأس تفتيش من أعظم تفتيشات الدائرة السنية(مبارك، ٢٠٠٨، ج ١٦، ١٥٣-١٥٤)، التي كانت عبارة عن هيئة تختص بمصالح الخديو تشمل أراضيه الواسعة ومصانع السكر ومعامل القطن والسكك الحديدية الخاصة به وغيرها (فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٢٥١)، وكان يقع ديوان هذا التفتيش في شرقها، في حين كان ديوان عموم الشفالك[9] في شمالها الغربي، وأطيان هذا التفتيش كانت تصل إلى ثمانية عشر ألف فدان، كان يزرع منها عشرة آلاف فدان قصب وباقيها يزرع حبوبًا وقطنًا(مبارك، ٢٠٠٨، ج ١٦، ١٥٣-١٥٤).

[3]تبعد كنيسة أبسخيرون القليني عن نزلة الفلاحين ١٣ كم فقط، وأرشدني مشكورًا إلى ذلك القس باسيليوس صبحي عندما تسألت في أحد اللقاءات من كون قرية "قلين" تقع في محافظة كفر الشيخ حاليًا، ولا صلة بين قليني فهمي باشا وهذه المحافظة طوال حياته.

[4]ما يمكن أن نطلق عليه اليوم نائبًا عموميًا لمحافظة المنيا.

[5] ذكر اسم يسى عبد الشهيد في دليل وادي النيل كقاضي للمحكمة الجزئية الاهلية في المنيا، وهو دليل على استمرار تولى المسيحيين الأقباط مناصب قضائية، ومن المرجح أنه أخو يوسف بك عبد الشهيد (عبد المسيح، ١٨٩٠، ٣٢١).

[6]اختص بشعره الخديو إسماعيل وكان شاعره الخاص وصاحبه الذي لا يفارقه.

[7]كان يعمل منشد بالمعية السنية وكان من المقربين من الخديو إسماعيل.

[8]المنيا او "منية بني خصيب" كانت تعد في تلك الفترة من أكبر مديريات الوجه القبلي، وكانت تحتوي على مائتين وواحد وثمانين قرية، ومساحتها مائتان وتسعة عشر ألف فدان، وكان محصول المديرية من الحبوب في السنة الواحدة ثمانمائة وتسعون ألف إردب وتنتج من الكتان والنيلة والدخان والسكر ثمانية وسبعون ألف وخمسمائة قنطار، ومن القطن ستمائة وستة وتسعون ألف وستمائة وستة وستون قنطار، وبها الديوان والمحكمة الشرعية، وتعج بالأسواق الدائمة ومحلات يباع بها البضائع المصرية والمستوردة من كل انواع القماش والنحاس والعقاقير ومن البضائع التي يباع مثلها في القاهرة والاسكندرية، وتحوي المقاهي والبارات وجميع أنواع الحرف (مبارك، ٢٠٠٨، ج ١٦، ١٥٢-١٥٥)، وكانت تحوي تنوعًا سكانيًا شمل الأجانب واليهود، فضلًا عن ما احتوت عليه المدينة من الطواحين بأنواعها، وعلى خمسة فنادق أعدت لإقامة السائحين كان أشهرها لوكاندة النيل والمنيا(عبد المسيح، ١٨٩٠، ٣٢٣).

[9]الشفالك أو الجفالك مسميان مترادفان لتلك المساحات الواسعة من الأرض وكانت أكبر من الأبعاديات، منحها محمد علي باشا لأفراد أسرته وحاشيته وأعفاها بصورة مبدئية من الضرائب بغرض حثهم على استصلاحها وكانت في البداية حق انتفاع حتى قرر -لحثهم على العمل فيها- أن يملكهم إياها، وكان ذلك في عام ١٨٤٢م (الرافعي، ١٩٨٩، ٥٣١).

كان من أهم ملحقات هذا التفتيش الضخم مصنع به ثلاثة عنابر لعصر القصب وعمل السكر، حيث كان ينتج السكر النبات والسكر الابيض الحب والاقماع والسكر الاحمر كما كان ينتج الكحول، وهذا ناتج عن عدد كبير من الآلات التي تميز هذا المصنع الضخم حينها من ماكينات تحليل السكر وتكريره وجعله أقماعًا وفرن لصناعة سكر النبات وماكينات للمخارط، كما كان هناك ورش لإصلاح الوابورات الزراعية وماكينات المصنع، وورش نجارة وأخرى لصب الحديد الزهر وتشكيله(مبارك، ٢٠٠٨، ج ١٦، ١٥٤)، كما كان يوجد اثنين من الماكينات لحلج القطن وواحد وعشرين ماكينة لطحن الغلال(عبد المسيح، ١٨٩٠، ٣٢٣)، وكان يوسف بك عبد الشهيد عضو مجلس شورى النواب عن نزلة الفلاحين في الهيئة النيابية الرابعة عام ١٨٨١-١٨٨٢م، مما يبرهن على دوره السياسي المهم الذي ورثه عنه قليني فهمي كما سيأتي ذكره.

ثانيا: تعليمه:

اعتنى يوسف بك عبد الشهيد بتعليم قليني فهمي لما توسم فيه من النجابة ومن أن يكون خليفته، فأرسله وهو في عمر الثانية عشر إلى واحدة من أهم المدارس القبطية في مصر،[10] وهي مدرسة الأقباط الأرثوذكس الكلية الداخلية في القاهرة والتي كان يطلق عليها مدرسة حارة السقايين (فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٦)، فدرس على يد كبار المعلمين حينها فدرس العربية وحفظ ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل على يد الشيخ محمد القنائي أحد مشاهير النحاة في ذلك الوقت، ودرس وأجاد الفرنسية على يد أشهر من كان يعلمها حينها وهو مصطفى بك رضوان، وكان متميزًا في الكتابة والمناظرة، وحاز على عدد من الجوائز أثناء فترة دراسته(فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٧)، مثل مجموعة الكتب الموقعة من وزير المعارف حينها الأمير حسين كامل قبل ان يتولى السلطنة، كمكافأة لنيله المرتبة الثانية من بين طلاب المدرسة البالغ عددهم حينها خمسمائة طالب(فهمي باشا، ١٩٤٧، ٢٤)، وتخرج منها بنجاح عام ١٨٧٣م(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٧).

ثالثًا: حياته المهنية:

عمل قليني فهمي حال تخرجه من مدرسة حارة السقايين كمترجم في ديوان عموم فبريقات الدائرة السنية بالمنيا، ويعد توليه هذه الوظيفة دليل على مدى ثقة رجال الدولة في جده ليعمل في الدائرة السنية مباشرة، واستطاع بنبهاته أن يثبت جدارة ونشاط واجتهاد في العمل(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٧)، ليصبح في ١٨ ابريل ١٨٧٥م سكرتيرًا في ديوان جفالك الدائرة السنية(فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٧)، ثم ترقى ليصبح "معاون أول" و"باش مترجم" الديوان في ابريل عام ١٨٨١م(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٨)، وكان رئيسه محمد سلطان باشا الذي وجد منه جد ونشاط وتفان وتلاقي فكري في أمور عديدة أهمها أمر السخرة واستخدام القسوة مع العاملين وابطال استخدام الكرباج الذي حرصا كليهما أن يؤدي اعمال الدائرة عمال يتقاضون أجور عادلة، ثم تم رفع خطاب بخصوص السخرة إلى مجلس النظار الذي كان يترأسه نوبار باشا الذي رحب بأمر إنهاء السخرة، فقام سلطان باشا بتنفيذ ذلك وعضده قليني في هذه الامر(فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٧-

[10] تخرج منها كبار رجال الحكم في مصر امثال بطرس باشا غالي ويوسف باشا وهبه وعبد الخالق ثروت باشا.

٣٠٨)، وكان لذلك أثر في ترقيته وكيلا لديوان عموم الجفالك في عام ١٨٨٢م (آصاف، ١٨٩٠، ٣١٨).

ونظرا لتفانيه في عمله ولتقدير سلطان باشا لما يقوم فيه فيما يوكل إليه من أعمال، نال قليني الرتبة الثالثة[11] عام ١٨٨٢م من قبل الخديو توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢م) بعد أن قام سلطان باشا بإبلاغ الخديو بمدى اجتهاده، إلا أن مرضًا بالمعدة ألم به فمنعه من استكمال عمله فيقوم بإجازة مرضية لمدة ستة أشهر طاف فيها أوروبا للاستشفاء، وليعود بعدها ويمارس مهام وظيفته وينال الرتبة الثانية[12] في عام ١٨٨٣م ويصبح "فهمي قليني بك"، ثم يُرقى في سَنة وفاة محمد سلطان باشا عام ١٨٨٤م ليعين عضو في قومسيون تصفية الدائرة السنية، وبراتب قدره أربعة آلاف قرش صاغ وألف قرش بدلية(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٨)، ثم يعين في إبريل عام ١٨٨٦م عضو في المجلس الابتدائي للدائرة السنية(فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٩)،[13] وزيد مرتبه إلى خمسة آلاف قرش(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٨)، ثم في مارس عام ١٨٨٧م ينعم عليه الخديو توفيق برتبة المتمايز (آصاف، ١٨٩٠، ٣١٨؛ فهمي، ١٩٢٦، ٣٠٩) التي كانت تمنح حينها لقضاة محكمة الاستئناف ورؤساء المحاكم ومديرين الإدارات (فكري، ٢٠١٦، ٢١).

في أول يناير عام ١٨٨٨م عين مفتشًا عامًا للدائرة السنية(فهمي، ١٩٢٦، ٣١٠)، ولمواقفه الدالة على كفاءته في العمل يمنحه الخديو توفيق النيشان المجيدي من الدرجة الثالثة؛[14]والذي يمنح كمكافأة للخدمات الممتازة والتي تتمثل في حرص قليني على مصالح الدائرة السنية، ثم يُستدعى عام ١٨٩٠م[15]من قِبل رئيس مجلس النظار مصطفى رياض باشا (١٨٣٤-١٩١١م)؛ ليعين في منصب مهم وحساس وهو ناظر إدارة التحريرات العمومية في نظارة المالية، وهو ما يتطلب شخصية مخلصة أمينة وذات خبرة في شؤون الإدارة(آصاف، ١٨٩٠، ٣١٨-٣١٩)، فهو منصب يجمع بين مسؤولية الإدارة العمومية بالإضافة إلى كونه مراقبًا للأموال غير المقررة في وزارة المالية(فهمي، ١٩٢٦، ٣١١).

نجاحه في تلك المهام دعت الخديو توفيق يمنحه النيشان العثماني من الدرجة الثالثة[16] في أكتوبر عام ١٨٩١م، والذي يُمنح مكافأةً لمن يقوم بخدمة الدولة بإخلاص وأمانة (فكري، ٢٠١٦، ٢٦)، ثم في ديسمبر عام ١٨٩٢م نال النيشان المجيدي من الطبقة الثانية، بالإضافة إلى صلاحيات أكبر فأوكلت إليه كل أعمال الدخوليات بمصر، ليعين عام ١٨٩٣م مراقبًا عامًا للأموال غير المقررة والدخوليات، التي استطاع زيادة إيراداتها إلى مبلغ ٣٣٤٣٢٠ جنيه عما كانت قبل أن يتولها(فهمي، ١٩٢٦، ٣١١-٣١٢).

كان لثقة الدولة في قدراته أن أوكلت إليه مناصب ومهام مختلفة كانت كلها تحت إدارته، منها مصلحة الدخوليات في القطر المصري، ومصلحة مصائد الاسماك بالنيل وفروعه وبالبحر الابيض المتوسط،

[11]رتبة مدنية تقابل الرتبة العسكرية "بكباشي" ويخاطب حائزها بـ "رفعتلو (فلان) أفندي أفندم"، وكانت تمنح لقضاة الدرجة الثالثة والرابعة بالمحاكم الابتدائية والأطباء و الصيادلة والمدرسين. (فكري، ٢٠١٦، ٢٢)

[12]رتبة مدنية تقابل الرتبة العسكرية "قائمقام" ويخاطب حائزها بـ "عزتلو (فلان) بك أفندم" بمعنى "صاحب العزة (فلان) بك"، وكانت تمنح لمهندس او محامي أو وكيل قلم او وكيل محكمة أو وكيل مديرية او رئيس قلم أو رئيس إدارة او كبير الأطباء أو قاضي درجة أولى وقاضي الدرة الثانية بالمحاكم الاهلية (فكري، ٢٠١٦، ٢٢)

[13]ذكر آصاف (١٨٩٠) ان ذلك كان في عام ١٨٨٥م.

[14]انشأه السلطان العثماني عبد المجيد بن محمود الثاني (١٨٣٩-١٨٦١م) في عم ١٨٥٢م ويتكون من خمس طبقات.(فكري، ٢٠١٦، ٢٦)

[15]ذكر صاحب الدليل ان ذلك اول يناير في ذكر صاحب الصفوة ان ذلك كان في يوليو من العام نفسه.

[16]انشأه السلطان العثماني عبد العزيز بن محمود الثاني (١٨٦١-١٨٧٦م) في عام ١٨٦١م ويتكون من اربع طبقات، ويطلق عليه النيشان العثماني نسبة الى السلطان الغازي عثمان الأول (١٢٩٩-١٣٢٤م) مؤسس الدولة العثمانية(فكري، ٢٠١٦، ٢٦)

ومصلحة الملاحة وما يتبعها من وابورات وذهبيات ومراكب ومعديات وكباري وأهوسة، ومصلحة الملح والنطرون، ومصلحة الضربخانة ودمغة المصوغات، وكان من سلطاته النظر في جميع أحكام مجالس التأديب لجميع المصالح الحكومية، وطلب الرتب والنياشين لمستخدمي المالية وفروعها، وكذلك تحضير الكسوة الشريفة وإرسال الهدايا من الغلال ونحوها إلى مكة المكرمة، وكل أعمال المحمل الشريف (فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٢٦٦).

كان قليني ومع كل تلك المهام هو رئيس مجلس تأديب الدخوليات، وعضوًا بمجلس تأديب نظارة المالية، وعضوًا في اللجنة المستديمة لتعيين المستخدمين بسائر مصالح الحكومة وعضوًا بلجنة تنقيح قوانين المحاكم، ومندوبًا من قبل نظارة المالية وأول عضو مصري يعين باللجنة المالية(فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٢٦٦).

وفي عام ١٩٠١م نال من الخديو عباس حلمي الثاني (١٨٩٢-١٩١٤م) رتبة الميرميران[17] الرفيعة (فهمي، ١٩٢٦، ٣١٣)، وهي إحدى درجات الباشوية، التي كانت توجه إلى المحافظين ونظار النظارات ووكلاء النظارات ورؤساء المحاكم(فكري، ٢٠١٦، ٢١)، وقد نالها بعد أن أمضى ثمانية وعشرين عامًا في الخدمة، ووصل راتبه إلى خمسة وسبعون جنيهًا حسبما ذُكر في كشف بيان الرتب الممنوحة لموظفي نظارة المالية عام ١٩٠١م، والمحفوظة في دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ونسب قليني فهمي باشا فكرة انشاء ساحل "روض الفرج" و"أثر النبي" إلى نفسه(فهمي باشا، ١٩٣٧، ٦)، وروى أن الأمر بدأ عندما لاحظ كثرة نشوب الحرائق في وسط القاهرة بسبب تواجد الأسواق بداخلها خصوصًا أسواق الأخشاب والبوص والتبن والقش وغيرها من تلك السلع السريعة الاشتعال، فما كان منه بحكم سلطاته في وزارة المالية، إلا أن قام بإنشاء ساحل "روض الفرج" بالقاهرة وإعداده ليكون على أكمل وجه وخصصه ليكون سوقًا للحبوب، ثم قام بعمل نفس الأمر في ساحل "أثر النبي" وجعله مخصصًا لبيع أدوات العمارة وما هو قابل للاشتعال، كما قام بعمل نشرات يومية تتضمن بيان الوارد والمبيع والأسعار(فهمي باشا، ١٩٣٧، ٦)، وافتتح ساحل مصر القديمة الخديو عباس حلمي الثاني في ٢ يناير ١٩٠٠م، واستقبله قليني فهمي بك ـحينهاـ والذي كان رئيس اللجنة المشرفة على المشروع(شفيق، ٢٠١٣، ج٢، ٣١٩).

كما كان صاحب مشروع المجالس التأديبية بالوزارات والمصالح الحكومية لرفع الظلم عن الموظفين، ولتنظيم شؤون الاعمال، ورد الشكاوى ومنع الظلم في المصالح الحكومية(فهمي باشا، ١٩٣٧، ٦).

على جانب آخر سعى قليني فهمي باشا لحل مشكلات المزارعين والعمل على تدعيم الاقتصاد المصري، فاستطاع أن ينجح في مساعيه لإنشاء بنك التسليف الزراعي (عباس والدسوقي، ١٩٩٨، ١٤٤) بعدما عانت البلاد من أزمات اقتصادية بدأت عام ١٩٠٧م، من خلال إقراض النقابات الزراعية ما تحتاجه من المال، وحفظ الرؤوس المالية الوطنية في بنوك مصرية وليست أجنبية وأن يحل هذا المصرف محل الحكومة في دخول سوق القطن(الطنطاوي،

[17]رتبة مدنية تلي رتبة روم بكلر بكي في الترتيب ويخاطب حائزها في المكاتبات الرسمية بـ "سعادتلو(فلان) باشا افندم حضرتلري" والتي تعني حضرة صاحب السعادة (فلان) باشا، واسم الرتبة مكون من كلمتين "مير" و"ميران" وتعني امير الامراء(فكري، ٢٠١٦، ٢٠-٢١).

١٩٣٣، ١٣)، كذلك نالت مساعيه لإنشاء البنك العقاري القبول، وأصبح عضو مجلس إدارة بالبنكين، فنادى بحل مشكلات ديون الفلاحين، وتسوية الديون العقارية وتأجيل أقساطها ومد فترات السلف، وقدم اقتراحات عديدة في مجلس النواب وعلى صفحات الصحف(عباس والدسوقي، ١٩٩٨، ١٤٥-١٤٦).

جدير بالذكر أن انتقال قليني فهمي باشا من الجانب المهني إلى الجانب السياسي نتج عن واقعة مهمة حدثت عقب اغتيال بطرس باشا غالي في ٢١ فبراير ١٩١٠م، إذ كان جليًا أنه المرشح بقوة ليكون وزيرًا للمالية في الوزارة الجديدة، ولكن وقفت ضده المؤامرات على حد ما ذكر، ما أدى إلى أن قرر اعتزال حياته الوظيفية؛ فطبقًا لروايته، أن كلًا من الخديو عباس حلمي الثاني واللورد "هيربرت كتشنر Herbert Kitchener"(١٨٥٠-١٩١٦م) قررا أن يكون قليني فهمي باشا ناظر المالية، لدرجة أنبُعث إليه وفد من رجال السراي لتهنئته وكان على رأسه شخصيات مقربة من الخديو مثل الشيخ علي يوسف (١٨٦٣-١٩١٣م) صاحب جريدة المؤيد، وأحمد شوقي بك (١٨٧٠-١٩٣٢م) أمير الشعراء، والكاتب والسياسي إسماعيل أباظة باشا(١٨٥٤-١٩٢٧م) مؤسس حزب الأمة بالإضافة إلى أحد الموظفين البريطانيين من جانب اللورد كتشنر(فهمي باشا، ١٩٤٧، ٤٧-٤٨).

إلا أن الأمر لم يرق حينها لرئيس الوزراء الجديد محمد سعيد باشا (١٨٦٣-١٩٢٨م) الذي طبقًا لرواية قليني فهمي باشا أزاحه عن المنصب بإقناع اللورد كتشنر أن قليني هو "رجل الخديو وصنيعته"، وقام على الجانب الآخر بإقناع الخديو أن قليني هو "رجل الانجليز وصديق كتشنر"، مستغلًا حالة العداء بين الطرفين، بل يذكر قليني فهمي باشا في مذكراته (١٩٤٧، ٤٨) أن محمد سعيد باشا كان يقول: "انا لا أنكر انه أقدر اللائقين لهذا المنصب وأعظمهم نفوذًا، واكثرهم جدارة وكفاية، لولا هذه الميول"، ونتج عن ذلك أن ألغيت فكرة توليه وزارة المالية، وتولى يوسف سابا باشا (١٨٥٢-١٩٢٤م)[18] بدلًا من قليني فهمي باشا.

كان للتراجع عن ترشيحه لوزارة المالية بعد تهنئته ما يستوجب تعويضه، فمنحه الخديو واحدة من أرفع الرتب في الحكومة المصرية ومن أعلى الرتب التي تمنحها الخديوية المصرية في عهدها بموجب الفرمانات، فمنح رتبة "روملي بلر بك"[19](فهمي باشا، ١٩٤٧، ٤٨)، وهي رتبة تمنح لرئيس مجلس النظار ونظار النظارات(فكري، ٢٠١٦، ٢٠)، وقد هنأه بتلك الرتبة الشاعر الأشهر حينها خليل بك مطران (١٨٧٢-١٩٤٩م) (فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣١١)، فقال:

ذاك خير المخلصين جزاء
وهو في أنفس المحبين أغلى
رتبة تقصر العزائم عنها
انت اهل لمثلها ولأعلى

اعتزل قليني فهمي باشا المناصب الحكومية إثر تلك الواقعة، وانصرف إلى شؤونه الخاصة وأملاكه، وقسم مجهوداته في ثلاث جهات هي الأعمال السياسية

[18] من اسرة سورية استوطنت في مصر، فولد في القاهرة، وعمل في مصلحة البوستة عام ١٨٧٢م، ثم أصبح مديرًا لها عام ١٨٨٧م، وكان عضوا في مجلس الشيوخ، ثم تولى وزارة المالية، وتوفي في ابريل ١٩٢٤م (اللطائف المصورة، ١٩٢٤م،١)

[19] هي رتبة مدنية تلي رتبة مدينة تلي الرتبة المدنية "بالا" في الترتيب وتسبق رتبة "ميرميران" المدنية وتقابل الرتبة العسكرية "فريق" ويخاطب حائزها في المكاتبات الرسمية بـ "سعادتلو (فلان) باشا افندم حضرتلري". (فكري، ٢٠١٦، ٢٠)

والأعمال الاقتصادية والأعمال الخيرية (فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣٣٨-٣٣٩).

وبالفعل كان حاضرًا بعد هذه الواقعة مباشرة ليكون بين مستقبلي رئيس الولايات المتحدة "ثيودور روزفلتTheodore Roosevelt" (١٨٥٨-١٩١٩م) اثناء زيارته لمصر في مارس ١٩١٠م بعد عام من تركه منصب الرئاسة، إذ كان قد طلب أن يقابل بعض من أعيان الأقباط في مصر، فالتقاه عند زيارته لدار البطريركية الأرثوذكسية بالقاهرة (لوحة:٢)، ثم قرر الرئيس الأمريكي أن يقوم بزيارة خاصة إلى منزل قليني فهمي باشا في حلوان (فهمي باشا، ١٩٤٧، ٥٤).

لوحة ٢: الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت أثناء زيارته لمقر البطريركية القبطية الأرثوذكسية في القاهرة، وإلى يساره يظهر قليني فهمي باشا وإلى يمينه يظهر البابا كيرلس الخامس(١٨٣١-١٩٢٧م).

أوضح قليني فهمي باشا(١٩٤٧،٤٧) تأثير أعدائه في مسيرته، ليس فقط المهنية بل والسياسية أيضًا، ومن أمثلة ذلك ما حدث عام ١٩١٣م من محاولة إفشال ترشيحه ليكون عضوًا في الجمعية التشريعية،[20] بعد اختياره من قبل الخديو عباس حلمي الثاني واللورد كتشنر، وبعد إدراج اسمه في كشوف الأعضاء، عندما حاول أعدائه إزاحته وإدراج آخر ممن لهم حماية اجنبية، اتجه حينها إلى اللورد كتشنر وأخبره بما يحدث، فقام اللورد بطلب محمد سعيد باشا-رئيس الحكومة حينها- تليفونيًا، وأخبره أنه لن يقبل أشخاص مهما كانوا تحت الحمايات الأجنبية، وأنه لا بديل عن قليني باشا، وجاوب رئيس الحكومة بالمصادقة على ما قاله اللورد، ولقيه محمد سعيد باشا بعد ذلك، وأكد له أنه لا يمكن لأحد أن يملأ فراغه على حد رواية قليني فهمي باشا، وكانت النتيجة أن صدر المرسوم بتشكيل الجمعية التشريعية وقليني باشا من أعضائها وأنتخب فيها رئيسًا للجنة المالية (فهمي باشا، ١٩٤٧، ٤٧)، وأشادت بدوره في الجمعية التشريعية الصحف في تلك الفترة (البيان، ١٩١٤، ٢٤).

رابعًا: ذكريات قليني فهمي باشا مع حكام مصر.

١- قليني فهمي باشا مع الخديو إسماعيل في المنفى والخديو توفيق في مصر:

روى قليني فهمي باشا(١٩٣٤، ج٢، ٣١،٣٢)، عن واقعتين اجتمع فيهما مع الخديو إسماعيل في فرنسا بعد خلعه، وجاءت روايته تبرز استياء الخديو إسماعيل من الثورة العرابية، ومن السياسة التي اتبعها الخديو توفيق في التعامل مع الامر، كما أظهرت الحساسية الواضحة بين الأب في المنفى والابن الحاكم في مصر، وكانت الحادثة الاولى هي دعوة الخديو إسماعيل إلى مقابلته في فرنسا، حيث أرسل الخديو إسماعيل الفرنسي "بولينو درانيت باشاPaulino Draneet Pasha" برسالة إلى قليني

[20] في يوليو ١٩١٣م تم إلغاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، وتم إنشاء الجمعية التشريعية التي تكونت من ٨٣ عضوًا منهم ٦٦ عضوًا منتخبًا و١٧ عضوًا معينًا، ثم في ديسمبر ١٩١٤م أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، وتم تأجيل انعقاد الجمعية إلى أجل غير مسمى، وفى عام ١٩١٥م أوقف العمل بأحكام القانون النظامي إلى أن ألغيت الجمعية التشريعية في أبريل ١٩٢٣م.

بك (حينها) عندما علم بوجود الأخير في مدينة "فيشيVichy" بوسط فرنسا يدعوه إلى مقابلته ويستغرب عدم الزيارة، الأمر الذي جعل قليني باشا يسعى إلى مقابلة الخديو في الميعاد المحدد في مكان إقامته في "فيلا روز"، وتقع أهمية روايته للمقابلة في أنه لم يتعرف على الخديو عندما رآه؛ لدرجة أنه اعتبره أحد السكرتارية، وسأله عن مكان الخديو، فقام الخديو بتمثيل دور السكرتير ودار الحوار التالي:

"الخديو: تعال معي وأنا اوديك عنده. اقتاده إلى كنبة ثم أجلسه إلى جانبه عليها.

الخديو: أمكث حتى يأتي أفندينا، انا مسرور برؤيتك يا قليني بك.

قليني بك: اشكرك، هل حضرتك سكرتير افندينا.

الخديو: انا هو، فقام قليني واقفًا في خجل قائلًا: استغفر الله يا افندينا.

الخديو: ما ألطف هذه المناورة الصغيرة التي سَرَّت قلبي. اجلس." (فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣١،٣٢).

ليبدأ حديث بينهما يبرز فيه الخديو سخطه على الحركة العرابية وما آلت إليه البلاد بسببها وتسببها في ضعف الخديو توفيق، الذي نال حظًا من الحديث ومن نقد الخديو إسماعيل والده حتى أحس قليني بالإحراج ليدور الحوار التالي:

"قليني: إن الخديو توفيق من المخلصين لذاتكم الكريمة ويعد نفسه أنه قائم مقام سموكم مدة غيابكم.

الخديو: لو كان يعرف واجباته لقضى على زعماء العرابيين في أربع وعشرين ساعة ونجى البلاد مما وقعت فيه من الاحتلال الاجنبي."

استمر الحديث بينهما عن أحوال البلاد دقيقها وجلها وأبرز الخديو إسماعيل آمله في العودة إلى أرض مصر.

الحادثة الثانية كانت عندما كان مرافقًا لمحمد سلطان باشا في رحلة استشفائه في أوروبا، وتصادف أن في فيينا نزلا في نفس الفندق الذي كان به الخديو إسماعيل، وكان المرض قد اشتد على سلطان باشا، الأمر الذي منعه من زيارة الخديو إسماعيل، الذي قام بدوره باستدعاء قليني وسؤاله عن صحة سلطان باشا وعندما علم بحالته قرر زيارته قائلا: "أفهمه ان لا يتعب خاطره، وأنا سأحضر لمشاهدته لأنني أحب الرجل كثيرًا، وقد خدمني وخدم البلاد خدمات عظيمة، فيسرني أن أراه وقل له إن الامتثال خير من الأدب"(فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣٢).

وما أن ابلغ قليني الرسالة إلى سلطان باشا حتى قدم الخديو إسماعيل للزيارة لدرجة أن بكى سلطان باشا من التأثر بالاهتمام والعطف الذي أبرزهما الخديو إسماعيل نحوه، وكانت وفاة سلطان باشا في اليوم التالي للزيارة، ونُقل الجثمان إلى مصر بواسطة قليني.(فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣٣)؛ ولكن لم ينتهي الأمر عند هذا الحد؛ إذ فوجئ باستدعاء من الخديو توفيق الذي أراد أن يستوضح عما وصله من أخبار عن انتقاد سلطان باشا الشديد للخديو توفيق أثناء زيارة الخديو إسماعيل له، واستشهد بمقال نشره "لافيزون[21]Lavison" الذي كان مرافقًا للخديو إسماعيل، الأمر الذي نفاه قليني وأوضح الحقيقة، وطلب منه الخديو توفيق أن يرد على ذلك المقال بمقال آخر، وأبدى استعداده وكتبه بالفعل إلا أنه لم

[21] كان يشغل منصب نائب قنصل روسيا بمصر قبل عزل الخديو إسماعيل(Department of State,1868,II, ٨٦).

يُنشر في النهاية(فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣٤)، ويُظهر هذا الموقف مدى الحساسية الشديدة بين الخديو توفيق ووالده، كما يوضح مدى تربص الابن لحركات الأب ومَن حوله، ومعرفته بكل تحركات والده؛ وعمله على الرد والدفاع عن نفسه بكل قوة.

٢- قليني فهمي باشا واللحية والخديو توفيق:

عندما عين قليني وكيلًا لديوان الجفالك بالدائرة السنية، كان من يسبقه هو رجل كبير السن يدعى رشوان باشا وكان ذو طلعة مهيبة يهابه الموظفون والجمهور من طلعته ويخافون بأسه، فوجد قليني أنه بطلعته الشابة لن يستطيع أن يملأ فراغ رشوان باشا، خاصة وأنه صغير السن وكان قبلها يشغل وظيفة باش معاون ديوان الجفالك الدائرة السنية قِبلي(فهمي باشا، ١٩٣٤، ج٢، ٣٤؛ فهمي باشا، ١٩٤٧، ٦٩)، لذا قرر قليني أن يقوم بإطلاق لحيته -بعدما وجد أن المرؤوسين يستخفون به لحداثة عمره- على أمل أن يغير هذا الصورة الذهنية للموظفين والمقارنة التي كانت تدور في رؤوسهم بين الاثنين، ثم بعدما استطاع أن يثبت وجوده، ويكتسب ثقة واحترام المرؤوسين عاد فحلقها مرة أخري (فهمي باشا، ١٩٤٧، ٦٩)، وهو ما لاحظه الخديو توفيق، فاستدعاه يسأله عن سبب ذلك ودار الحوار التالي(فهمي باشا، ١٩٤٧، ٦٩-٧٠):

"الخديو توفيق: ما هذه المفارقات يا قليني بك، هل نحن في فرنسا؛ تطلق لحيتك على هذه الصورة؛ ثم تعود فتحلقها؟!

قليني: الحقيقة يا مولاي، أنني كنت أشكو التهابًا جلديًا؛ تسبب عنه ظهور الحرارة (البثور) في ذقني فما كان مني إلا أن أطلقت لحيتي لأخفيها.

الخديو توفيق: ولكني لا أرى لهذه الحرارة أثرًا في وجهك، وأنا اعتقد أن هذا ليس بيت القصيد فقل الحقيقة ورزقك على الله!

فسرد عليه قليني ما كان من الأمر وما حدث من رفت الموظف وما لكل ذلك من أثر في نفوس الموظفين.

فضحك الخديو توفيق وقال: والله يا قليني بك إن السبب الذي دفعني إلى إطلاق لحيتي أنا أيضًا، يشبه السبب الذي من أجله أطلقت أنت لحيتك كذلك، فقد كنت حين تقلدت عرش الخديوية المصرية حديث السن في فجر الصبا وكان والدي الخديو إسماعيل رجلًا عظيم الهيئة، موفور القوة، مهيب الطلعة بلحيته الكثة، وشخصيته المرهوبة، فاضطررت من اليوم الذي تقلدت فيه مقاليد الامور، أن أطلق لحيتي حتى تراني الجماهير بنفس العين التي ألفت بها رؤية الخديو إسماعيل، والفارق بيني وبينك أنك مطلق الحرية في إطلاقها أو إزالتها كما تشاء ووقت ما تشاء، أما أنا فلا أستطيع، فهناك تقاليد لا أستطيع منها فكاكًا ولهذا فإني مضطر على البقاء على لحيتي العزيزة."

٣- قليني فهمي باشا والاحتفال بعيد الجلوس للخديو عباس حلمي الثاني:

قد لا يعلم البعض أن قليني فهمي باشا هو صاحب فكرة الاحتفال بعيد الجلوس للحاكم، وهو الأمر الذي استمر حتى قيام ثورة ١٩٥٢م، فذكر في مذكراته (فهمي باشا، ١٩٤٧، ٤٨)، أنه اقترح هذه الفكرة على

عبد القادر حلمي باشا(١٨٣٧-١٩٠٨م)،[22] بأن تقوم مصر بالاحتفال بعيد جلوس الخديو عباس حلمي الثاني (لوحة:٣)، وكانت الهدف هو إبراز الخديو بعيدًا عن الاحتلال الانجليزي الجاثم أو الهيمنة العثمانية، في تقليد يناظر به السلطان العثماني، إذ تقوم اسطنبول بالاحتفال بعيد جلوس سلاطينها.

لوحة ٣: قليني فهمي باشا مع الخديو عباس حلمي الثاني

تم تألفت لجنة من كبار الموظفين والاعيان لتعمل على تنفيذ هذا الامر، واستقرت على أن يكون أول احتفال لعيد جلوس الخديو في عام ١٨٩٥م، بإقامة حفلة ضخمة مبهرة في حديقة الازبكية بالقاهرة، فنصبت الزينات، ورفعت الاعلام، وأضيئت جنبات الميدان، والمباني الحكومية والمباني المجاورة لها، ودعي الشعب للمشاركة والاحتفال بهذا العيد الوطني، بمشاركة الفرق الموسيقية التي أخذت تعزف في كل مكان، وشاركت دار الأوبرا بعقد حفلات غنائية تبارى الفنانون للمشاركة فيها، وكذلك قدمت إحدى الفرق التمثيلية رواية مناسبة للحدث، وبهذه الفعاليات المبهجة نجح أول احتفال بعيد جلوس في مصر، الذي اقترحه قليني فهمي باشا (فهمي باشا، ١٩٤٧، ٤٩)، وهو ما أكده لنا أحمد شفيق باشا (١٨٦٠-١٩٤٠م)،[23] في مذكراته عن تفاصيل الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي في ٨ يناير ١٩٠٠م من خلال اللجنة المشكلة لهذا الشأن برئاسة عبد القادر حلمي باشا، والذي احتفل به في حديقة الازبكية (شفيق،٢٠١٣، ج٢، ٣١٨-٣١٩).

٤-قليني فهمي باشا والسلطان حسين كامل(١٩١٤-١٩١٧م):

أراد السلطان حسين كامل أن يزور مدرسة الأقباط الكبرى أسوة بباقي المدارس، فما كان من تشريفات السراي إلا أن اتفقت مع يوسف باشا وهبه(١٨٢٥-١٩٣٤م) الذي كان حينها وزيرًا للمالية، ألا يحضر سواه من الأقباط هذه الزيارة، وعندما علم قليني فهمي باشا بالأمر اعترض اعتراضا شديدًا على هذا النظام؛ لأنه لا يُفسَر إلا بأحد الأمرين الاول هو أن السلطان غير راض عن الأقباط، وإما أن الأقباط غير راضين عن تلك الزيارة، والأمران سلبيان ولا يحققان الغرض الذي من أجله أراد السلطان القيام بتلك الزيارة، لذا قدم قليني فهمي باشا احتجاجه لدى تشريفات السراي على هذا الأمر، وقدم اقتراحًا أن يحضر عظماء الأقباط وكبراءهم كممثلين عن أقباط مصر يستقبلون السلطان عن وصوله للبطريركية لزيارة المدارس لأنها تعتبر بيت الأقباط، ويجب على أهل البيت أن يكونوا أول من يرحب بالزيارة السلطانية.

كان رد رئيس التشريفات السلطانية حينها سعيد ذوالفقار باشا أن الترتيب قد تم على هذا النظام، فقال قليني باشا أنه قدم الاقتراح ليرفع الأمر إلى السلطان نفسه فوعده بذلك (فهمي باشا، ١٩٣٤، ٥٣).

ويروي قليني باشا أنه عند عرض الأمر على السلطان كان يتواجد محمود شكري باشا رئيس الديوان

[22]ناظر الحربية والبحرية وناظر الداخلية في نظارة نوبار باشا الثانية (١٨٨٤-١٨٨٨م).

[23]رئيس الديوان الخديوي

السلطاني- والذي يعده قليني أحد اعدائه المتربصين به- الذي قال "يبدو أن قليني باشا غير راض عن نظام السراي وأنه يطلب تعديله بطريقة أخرى"، فاستشاط السلطان غضبًا حيث اعتبر قليني باشا معارضا لرغبته، وأوكل إلى الأمير احمد فؤاد- الذي سيصبح ملكا بعد ذلك- بالتحقيق مع قليني باشا فيما أوكل اليه(فهمي باشا، ١٩٣٤، ٥٤).

كان من حسن ما قام به قليني فهمي باشا حينها أنه كان قد أطلع الأمير فؤاد -حينها- وكذلك رئيس الوزراء حسين رشدي باشا بالأمر، وكلاهما استحسنا ما اقترحه وقالا له "إن في اقتراحك تبجيلًا لعظمة السلطان وفخرًا للأقباط"، ولما بُلِّغ الأمير بغضب السلطان استدعى قليني تليفونيًا، الذي اعلمه بالأمر وأنه كان اطلعه على الامر من قبل كما اطلع رئيس الوزراء، وحينها وعده الأمير فؤاد-حينها- بأنه مازال في صفه، وانه سيطلع السلطان على ما كل جرى، ولكن بعض ان يستمع الى رئيس الوزراء أيضًا، وبالفعل توجه الامير فؤاد إلى السلطان في السراي وابلغه بالحقيقة فهدأ سخطه وغضبه على قليني وتيقن من براءته مما نسب إليه، فاستدعاه وطيب خاطره (فهمي باشا، ١٩٣٤، ٥٤-٥٥).

وهذا الموقف يبين كيف كانت تدار هذه الأمور الحساسة التي قد تفهم أو تفسر بطريقة مغلوطة، وكيف يمكن أن يشوه الحاكم فقط لصراع فردي في إطار دائرته وحاشيته، وإن لم يكن هناك كياسة وخبرة في التعامل مع مثل تلك المواقف قد تفسر بصورة خاطئة من رأي وطني إلى رأي معادي، لذا فمثل تلك المواقف تحتاج إلى تحليل تاريخي دقيق.

٥- الملك فؤاد الأول (١٩١٧-١٩٣٦م)، والدستور وقليني فهمي باشا:

تشكلت لجنة الثلاثين التي تولت وضع أسس الدستور المصري عام ١٩٢٣م في عهد الملك فؤاد الأول وكان رئيسها حسين رشدي باشا (١٨٦٣-١٩٢٨م)، وكان قليني فهمي باشا أحد اعضائها وبصفته من كبار الأقباط في القطر المصري كان من بين فريق يمثل الأقليات من الطوائف غير المسلمة مكون من الأسقف يؤانس مطران قنا، ويوسف سابا باشا، وتوفيق باشا دوس والياس عوض بك، وقرر ذلك الفريق وضع نص صريح للحفاظ على حقوقهم، وبالرغم من اتفاقه مع أمر حفظ حقوق تلك الاقليات إلا أنه رأى أن هذا الأمر ليس من مصلحة البلاد، لكنه لم يقف امام رغبة الآخرين.

عندما وصل الامر إلى مسامع الملك فؤاد الاول أرسل في طلب قليني باشا ودار بينهما هذا الحوار:

"الملك فؤاد الاول: هل توافق يا قليني باشا على ان تكون البلاد شيعًا، مقسمة إلى جملة طوائف، فتقيمون في مصر جملة حكومات داخل الحكومة؟ إني استدعيك لأقول لك أني غير راض عن هذا الأمر، ولا يمكن أن أقبله بأي وجه من الوجوه. فأعمل جهد ما في استطاعتك لمعارضة هذه الفكرة ومناهضتها بكل الوسائل الممكنة، حتى تهدم من أساسها، حفظًا لوحدة الأمة القومية.

قليني فهمي باشا: من ناحيتي يا مولاي، فإشارتكم أمر مطاع. ولكن ماذا أفعل مع الآخرين؟؟

الملك فؤاد الاول: تدبر الأمر، وأنا معتقد أنك قادر على العمل وفق رغبتي، على شريطة أن لا يقحم أحد

اسمي ولا يدري إنسان أنني الموحي إليك بذلك."(فهمي باشا، ١٩٤٧، ١٣).

تحدث قليني عن عزمه بعد تلك المقابلة أن يقوم بكتابة مقالات تنشر في الصحف تحمل توقيعه تدعو الى حب الوطن والحرص على وحدته وعارض الفكرة المقترحة في لجنة الدستور لما تحمل في طياتها من عوامل التفرقة ودعا إلى أن يظل أبناء مصر جميعًا خاضعين لقانون واحد وسلطة واحدة حرصًا على وحدتها القومية، إلا أنه نال من الهجوم الكثير وشن أقرانه في لجنة الدستور حملة صحفية ضده، إلا أنه وبعد مناقشات معهم استطاع اقناعهم ان ذلك في ذلك مصلحة البلاد فاقتنعوا وأخذوا برأيه في لجنة الدستور(فهمي باشا، ١٩٤٧، ١٤-١٥).

ولعل هذه القصة التي يعترف فيها أن الملك فؤاد الأول هو من كان وراء الأمر برمته، تغير مفاهيم عديدة تتعلق بتأثيره على لجنة الثلاثين وتواصله مع أعضائها، وإن كان قليني قد كشف عن جانب، فماذا عن باقي الجوانب، ولعل بعض الدراسات التاريخية لم تصل اليها تلك المذكرات(فهمي باشا، ١٩٤٧)، فاعتبرت ان الامر كله يعود الى قليني فهمي باشا وحده ونابع منه(El Gendy, 2014, 45)، لكن روايته في مذكراته واضحة أنه لم يكن ليتحرك إن لم يوجهه الملك فؤاد الأول (فهمي باشا، ١٩٤٧، ١٤-١٥)، وهنا تبرز أهمية مؤلفات قليني فهمي باشا.

٦- الملك فؤاد الأول وتنصيب البابا يوأنس التاسع عشر (١٨٥٥-١٩٤٢م)، ودور قليني فهمي باشا:

في فترة اعدها الملك فؤاد الأول حرجة، عندما توفى مطران الحبشة متاؤوس ولحقه بطريرك الأقباط الارثوذكس الانبا كيرلس الخامس، وكان هناك خلاف بين الأقباط في اختيار البطريرك الجديد، مما يؤثر بالتبعة على تأخير اختيار مطران الحبشة الذي يجب أن يرسمه بطريرك الأقباط، فأحس الملك حينها بأن هذا الخلاف -الناشئ عن التقاليد المتبعة القاضية بأن يتم اختيار البطريرك من رهبان الأديرة دون المطارنة- قد يؤدي إلى فقدان مصر إحدى قواها الناعمة، وكان الحديث التالي بين قليني فهمي باشا والملك فؤاد الاول الذي استدعاه للوقوف على الأمر:

"الملك فؤاد الاول: إني أرى أن تعجلوا في اختبار بطريرك ليتسنى رسم مطران الحبشة بأسرع ما يمكن من الزمن، حتى يقفل باب الدسائس نهائيًا، لأن المطران القبطي فضلًا عن كونه تابعًا للكنيسة القبطية التي هي جزء من شعبي فإنه في أن واحد يعد سفيرًا مصريًا في المسائل بيننا وبين الحبشة. فلهذا أرجو أن تسعى في تنصيب بطريرك حالًا لأجل أن يرسم مطرانًا للحبشة، ونقفل هذا الباب نهائيًا، ولاسيما أن هذا الأمر يهمني خاصة من جميع الوجوه.

قليني فهمي باشا: جلالتك توجد خلافات كثيرة بين الاقباط عمن يرشحونه بطريركًا، والأمر به من صعوبات غير قليل، لأن التقاليد المتبعة أن يختار البطريرك من بين رهبان الاديرة دون المطارنة.

الملك فؤاد الاول: على كل حال أرى أن الأنبا يؤانس قائمقام البطريرك جدير بهذا المركز، فهو رجل عظيم واسع المعرفة وهذه ميزة قد لا تتوافر لأحد من الرهبان- إذ انهم منقطعون عن العالم. وليس لهم كبير دراية بالأحوال المدنية ولا تجارب تكفل لهم النهوض بأعباء هذا المنصب الرفيع.

قليني فهمي باشا: يا مولاي إن التقاليد تقضي باختياره من الرهبان دون المطارنة!

الملك فؤاد الاول: دعك من الماضي وتقاليده، واعمل كل جهدك في تذليل الصعوبات كلها، لكي يتم اختياره لهذا المنصب، وأنا اساعدكم على تحقيق ذلك."

وما كان من قليني باشا حينها إلا الشكر والانصراف، والعمل بما أشار به الملك، وقد كان له ما أراد حيث سعى قليني باشا بكل الوسائل لتنفيذ الأمر وعرض الرغبة الملكية في أن ينتهي الخلاف، وينصب الأنبا يؤانس بطريركًا للأقباط في ١٦ ديسمبر ١٩٢٨م، بعد ان نال ٧٥ من أصل ٨٥ من أصوات المجمع المقدس في الاقتراع الذي تم قبل التنصيب بأسبوع، وقام الأنبا يؤانس على وجه السرعة باختيار مطرانًا للحبشة، فاختار الأنبا كيرلس،[24] ثم تألف وفد على رأسه البطريرك يؤانس لشكر الملك فؤاد الاول على حكمته التي أدت إلى إنهاء التنازع والشقاق وكان قليني باشا هو خطيب هذا الوفد.(فهمي باشا، ١٩٤٧ أ ، ١٩-٢٠).

وهذه الرواية التاريخية المهمة عن تنصيب بطريرك الأقباط الأرثوذكس، يعطي معلومات غاية في الأهمية حول دور الملك فؤاد وتأثيره الواضح في الأمر، كما يظهر أنه للمرة الثانية يكون قليني فهمي باشا هو الصلة بينه وبين اقباط مصر، ولكن هذا الدور المهم الذي ظل يلعبه قليني فهمي باشا لم يدوم، إذ بدأ قليني فهمي باشا بمهاجمة الانبا يؤانس، وراح يسبه في جميع المحافل، من المرجح ان ذلك ناتج لتفضيل البطريرك توفيق باشا دوس عليه (Carter, 1982, 40)، وارجعت المصادر ان ابتعاد قليني باشا عن لعب دور مهم لدى القصر إلى كبر سنه وتفوهه بما لا يليق، إلا أن ذلك لم يمنع من اعتباره من أهم الشخصيات المؤثرة في السياسة المصرية(FO.371/23362, 1939, 15؛ FO.371/53313, 1946, 13).

٧- الملك فؤاد الاول عالم آثار ومرشد سياحي:

مما ذكره قليني فهمي باشا حول ذكرياته عن الملك فؤاد الاول، ان قليني بصفته عضو مجلس إدارة المتحف القبطي تواجد أثناء زيارة الإمبراطور الايطالي "فيكتور إيمانويل الثالث Victor Emmanuel III" (١٨٦٩-١٩٤٧م) للمتحف بمصاحبة الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٣م (لوحة:٤)، وروى أن الملك فؤاد الاول كان يشرح ويقوم بدور المرشد السياحي في شرح محتويات المتحف للإمبراطور الضيف، وكان مدح قليني لا يخلو من المداهنة الواضحة، حتى أنه ذكر "كان جلالته يتحدث عن كل ما يحويه المتحف حديث العالم الخبير والباحث المدقق، الذي يحيط بتاريخ كل قطعة اثرية في المتحف مهما بعد بها العهد"(فهمي باشا، ١٩٤٧، ١٨)، وهي مبالغة جلية، لا بد من تناولها بحذر.

خامسًا: وفاة قليني فهمي باشا:

لم تكن مغادرة رجل مثل قليني باشا لحياتنا بالأمر الهين أبداً، فقد وافته المنية في سرايته في مغاغة بالمنيا، وشيعت جنازته في الثالثة عصرًا في يوم الأحد الموافق السابع عشر من يناير عام ١٩٥٤م (الأهرام، ١٩٥٤، ١١)، وكانت في عهد أول رئيس بعد ثورة قامت على الحكم الملكي الذي كان قليني باشا يعد أحد رجاله الاوفياء، إلا أن تأثير قليني باشا في مجتمعه كان عظيمًا، ولم يكن هناك بد من أن يكون هناك مندوبًا عن رئيس الدولة في جنازة رجل

[24] من الصدف الغريبة ان يتولى الانبا يوأنس والانبا كيرلس مهامهما في نفس العام ويتنيحا في نفس العام وهو ١٩٤٢.

كان له تأثير كبير في احداث تاريخية مهمة في تاريخ مصر في العصر الحديث.

لوحة ٤: الملك فؤاد الأول مع الامبراطور فيكتور إيمانويل الثالث وقليني فهمي باشا في المتحف القبطي.

انتدب رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب (١٩٥٣-١٩٥٤م) مدير المنيا السيد ابراهيم حليم نائبًا عنه ليتقدم الجنازة بصحبة مطراني بني سويف والمنيا، وشيعتها اعداد غفيرة من رجال الدين من جميع الطوائف والراهبات، فضلًا عن تلامذة المعاهد العلمية، والمشاة والركبان من رجال الشرطة، كل هؤلاء وخصوصًا أهل مغاغة رافقوا جثمان قليني فهمي باشا إلى مثواه الاخير في كنيسته التي أقامها في مغاغة وهي كنيسة مار جرجس (لوحة:٥)،[25] بعد أن طاف جثمان قليني باشا جميع شوارع مغاغة ليودع جميع أهلها الذين كان الجثمان يشق طريقه بينهم في موكب مهيب قلما رأته المنيا بعد ذلك(الأهرام، ١٩٥٤، ١١).

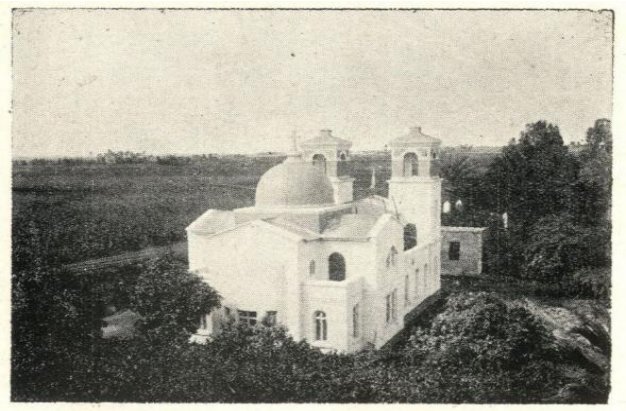

لوحة ٥: صورة جوية لكنيسة مار جرجس التي أنشأها قليني فهمي باشا، في روضة قليني في مغاغة والتي اصبحت مدفنه- اندثرت.

بعدما أديت الطقوس الدينية بالكنيسة على جثمان قليني باشا، ألقى القمص ارسانيوس وكيل مطرانية بني سويف خطابًا سرد فيه تاريخ حياة قليني فهمي باشا الحافل بالأعمال الجليلة على الصعيد الوطني والخيري، وتوالى المتحدثون والخطباء كل يدلي بدلوه من مآثره الحميدة، وعن اسرة قليني باشا تحدث المحامي الاستاذ عدلي كامل مرقس وقدم الشكر لرئيس الجمهورية والحاضرين في مواساتهم ولمشاركتهم في تكريم قليني فهمي باشا(الأهرام، ١٩٥٤، ١١).

واستمر العزاء في سراي قليني باشا لمدة ثلاثة أيام، ونعاه مزارعو دائرته ووكيلها "فهيم كراس" الذي وصف قليني باشا بالأب الروحي والمحسن الكبير، كما نعته جمعية ثمرة التوفيق القبطية بالقاهرة لأياديه البيضاء على الجمعية ومؤسساتها الخيرية، وكذلك نعته جمعية نهضة الكنيسة بمغاغة بصفته رجلها البار، كما نعاه وكيل واساتذة وطلبة مدرسة مغاغة الثانوية ووصفوه برجل المروءة والانسانية، وكذلك ناظر واساتذة وطلبة

[25] سويت الكنيسة بالأرض وبنيت أمامها كنيسة اخرى هي حاليًا مطرانية مغاغة والعدوة.

مدرسة الأقباط بمغاغة ونعتوه برجل البر والاحسان(الأهرام، ١٩٥٤، ١١).

وقد كتبت عنه الاهرام ما يلي: "أن الفقيد العظيم كان رجلًا له تاريخه الحافل بجلائل الأعمال في خدمة الوطن، وفي جميع شئون الخير، فقد أنشأ المعاهد العلمية للبنين والبنات ومستشفى مغاغة الكبير وبنى الكنائس والمساجد، وكان رجلًا مثاليًا محبًا بفطرته للبر والإحسان، وله مؤلفات عديدة حافلة ببعض تاريخ مصر وبالكثير من الاقتراحات والتوجيهات في كثير من المشروعات العمرانية والاقتصادية، التي تهدف لخير البلاد" (الأهرام، ١٩٥٤، ١١).

سادسًا: مؤلفات قليني فهمي باشا ومذكراته:

كانت حياة قليني فهمي باشا الطويلة ومناصبه المهنية المتعددة التي تولاها، وقربه من دائرة الحكم سواء من الحكام انفسهم بدءً بالخديو إسماعيل وانتهاءً بالملك فاروق(١٩٣٦-١٩٥٢م)، أو من الشخصيات السياسية البارزة التي كان لها تأثير واضح في قرن من تاريخ مصر الحديث والمعاصر، مثل محمد سلطان باشا ومصطفى رياض باشا ومصطفى فهمي باشا (١٨٤٠-١٩١٤م) والامير عمر طوسون (١٨٧٢-١٩٤٤م) والسير " إلدون غورست Eldon Gorst" (١٨٦١-١٩١١م) واللورد "إيفلين بارنج كرومر Evelyn Baring Cromer" (١٨٤١-١٩١٧م) واللورد كتشنر؛ هذا بالإضافة إلى علاقته المهمة بالبطريرك الانبا كيرلس الخامس، وخلفه الانبا يوأنس التاسع عشر، فضلًا عن عدد من الشخصيات الذين تناثرت اسماؤهم وذكرياته معهم في مؤلفاته.

فقد ترك لنا قليني فهمي باشا مذكراته في أكثر من كتاب، وكان باكورة ما كتب هو إصدار طبع بمطبعة مصر بالقاهرة بعنوان "مذكرات قليني فهمي باشا: طرائف ونوادر عن بعض حوادث الماضي" وكان هذا عنوان الجزء الاول من مذكراته التي أتبعها بجزءٍ ثانٍ طبع في نفس المطبعة بعنوان "مذكرات قليني فهمي باشا: خلاصة الحوادث في عهود الخديو إسماعيل والسلطان حسين وجلالة مولانا الملك فؤاد الأول"، وهذان الجزآن نُشرا في عام ١٩٣٤م وهما يعدان من أهم المذكرات التي سطرت عن تلك الفترة الهامة من تاريخ مصر الحديث.

قام بعد ذلك بنشر كتاب جديد طبعته مطبعة حليم في القاهرة ليكون ملحق بالمذكرات وعنوانه "بعض ما لم ينشر من: مذكرات قليني باشا فهمي- على هامش التاريخ المصري الحديث - بعض حوادث الماضي- اقتراحات لمصلحة الوطن" وهو بدون تاريخ، ولكن عثر الباحث على إصدار آخر لهذا الكتاب يحمل نفس العنوان وعن دار الطباعة وبدون تاريخ؛ إلا أن المحتوى الداخلي للكتابين مختلف، ويُرجح أن الإصدار الأول من هذا الكتاب كان في أوائل عام ١٩٣٦م، لأن الإهداء كان إلى الملك فؤاد الأول؛ ولكن توفي الملك في ٢٨ إبريل عام ١٩٣٦م، فلم يجد قليني فهمي باشا أنسب من أن يستهل علاقته بالملك الشاب الجديد بإهدائه أحدث كتبه فقام بإعادة صياغة الكتاب، وأصدره مرة أخرى ولكن بإهداء إلى الملك فاروق، ومما يؤكد ذلك ما ذكره في تمهيد الإصدار الثاني إذ قال "عندما أصدرت مذكراتي التاريخية في مستهل هذا العام، ووزعت على الجمهور، قوبلت بمزيد من الارتياح في مختلف المحافل، ولقيت من جميع الطبقات عين القبول" وفي هذا هو يثبت أنه كان هناك إصدار في أول العام- ١٩٣٦م وإن لم يكن مذكورًا.

ثم أردف في تمهيده "ولما كنت قد كتبت هذه المذكرات من حاضر الذهن، بغير اعتماد على مصادر مكتوبة، أو مراجع مسطورة- فقد رأيت أن أتدارك هنا في هذا الكتاب ما فاتني وغاب عني من الذكريات اللطيفة،[26] والنوادر الظريفة وطريف الحوادث الفائقة- التي أعتقد أنها تطرز التاريخ المصري الحديث بما فيه للمطالعين أكبر الفائدة....أني ارفعها لمقام مولانا المحبوب الملك العظيم فاروق الاول، حفظه الله..." ثم قال في نهاية تمهيده "وقد أشار علي بعض الأصدقاء أن أنشر في خاتمة الكتاب بعض التقاريظ التي وردت إلي من عظماء الامة وصفوة المفكرين عن أثر الجزء الاول ووقعه في نفوسهم فنزلت على إرادتهم" ومن ذلك نستنتج أنه اعتبر أن ما أصدره في بداية العام قبل وفاة الملك فؤاد الأول هو الجزء الأول، وأن ما أصدره بنفس العنوان من نفس المطبعة وفي نفس العام، ولكن بعد وفاة الملك فؤاد الاول وتوليه الملك فاروق هو جزئه الثاني، لذا وجد الباحث انه من المهم الإشارة إلى ذلك حتى لا يختلط الامر على الباحثين والدارسين، وقد جاء الإصدار الأول في عدد ١٥٤ صفحة في حين جاء الإصدار الثاني في عدد ٨٩ صفحة، وهما يشتركان في العنوان واسم المطبعة ومكان الطبع إلا أن المحتوى مختلف كمًا وكيفًا.

أصدر قليني فهمي باشا في مايو عام ١٩٣٧م كتاب بعنوان "آراء وذكريات في السياسة والاقتصاد والاجتماع" عن مطبعة المجلة الجديدة، في ٩٧ صفحة، وهي مجموعة من المقالات والاقتراحات التي كان قد نشرها في الصحف، أراد أن يقدمها مجمعة ليوضح إسهاماتها في نفع البلاد بصورة متكاملة، ثم أصدر كتابًا مميزًا عن الأمير عمر طوسون -الذي تُوفي في ٢ يناير ١٩٤٤م- تأبينا له في عام وفاته، وصدر الكتاب بعنوان "واجب الوفاء: الأمير عمر طوسون حياته – آثاره- أعماله" في عام ١٩٤٤ وطبع في مطبعة كوستاتسوماس بالقاهرة، ووقع في ٩٦ صفحة تحدث فيها بالتفصيل عن نشأة الامير عمر طوسون وتعليمه وهواياته وشبابه ومؤلفاته التاريخية ودوره السياسي والاجتماعي، وكان آخر مؤلفاته هو كتاب بعنوان "أعمال الملوك: صفحات مشرقة من التاريخ المصري الحديث ذكريات طريفة- اقتراحات نافعة لمصلحة البلاد" وقد صدر عام ١٩٤٧م وطبع في مطبعة كوستاتسوماس بالقاهرة.

سابعًا: أعمال قليني فهمي باشا الخيرية:

نادى قليني فهمي باشا بالعديد من المبادرات مثل منع عقوبة الضرب بالكرباج، ومنع السخرة في الحقول، ومنع المسكرات على غرار ما حدث في الولايات المتحدة الامريكية، كما نادى بمنع التسول، وكان من أوائل المشتركين في تأسيس جمعية الهلال الاحمر المصري واصبح عضو بمجلس إدارتها (البستاني، ب ت، ١٥٥)، وظل وكيلًا لمجلس الإدارة لمدة إثني عشر عامًا، على إثر قيام حرب البلقان، وتبرع بحوالي مائة ألف جنيه لإنشاء أربعين وحدة طبية تحت إشرافه، ولذا أهدته الدولة العثمانية النيشان العثماني الأول لما قام به من عمل إنساني(الطنطاوي، ١٩٣٣، ١٦-١٧).

لم تقف أعماله الخيرية عند هذا الحد، فقد ضربت بأعماله الخيرية المثل فقيل عنه "لو كان أغنياء المصريين يسيرون على هذه السيرة الحسنة ما بقي في مصر فقير ولا جاهل ولا مريض"، فقلد قسم املاكه

[26] اعتمد الباحث على هذا الإصدار في هذا البحث.

بين اسرته وأمته، فما كان يملك ستمائة فدان أوقف نصفها على المدراس والمستشفيات وعدد من الكنائس ومسجد(علي، ٢٠١٠، ٦٠١)، لذا ليس من الغريب أن تُختار وثيقة وقفيته في دار الوثائق المصرية لتدرج في سجل ذاكرة العالم لما لها من قيمة إنسانية (مصطفى، ٢٠١١، ٤١٣)، ولما تمثله من أهمية لمقدار الوقفية الضخم الذي يبرز حجم التسامح والإيمان بدور الفرد في دعم بلاده.

لوحة ٦: نص وقفية قليني فهمي باشا أعلى المدخل المؤدي إلى المدراس التي بنيت على الأرض التي وهبها. (فهمي باشا،١٩٣٤)

وفيما يلي النص -الذي كتب بالخط الثُلث- أعلى المدخل المؤدي إلى المدراس التي بنيت على الارض التي وهبها(لوحة: ٦-٧):

"هبة عطوفة قليني فهمي باشا للعلم قد تبرع حضرة صاحب العطوفة قليني فهمي باشا لمجلس مديرية المنيا بهذا المُلك المشيدة عليه هذه المدارس البالغ مسطحها عشرون ألف متر قدرها مجلس المديرية بعشرين ألف جنيه خلاف البناء الذي أمامها المخصص لتعليم تلاميذ كشافة قليني فهمي باشا وسكنى طلبة المدراس الغرباء مجانًا كما وقف قصره العظيم (لوحة:٨) الكائن (بمغاغة) ليكون مستشفى عاما لمعالجة المرضى من جميع المذاهب ووقف عليه ٧٥ فدانًا كما وقف قصره الجميل بحلوان (لوحة:٩) ليكون مدرسة للبنات من جميع الملل ووقف عليه ٥٨ فدانا كما وقف ايضا ٣٠ فدانًا على مستشفى الأقباط الكائن بشارع الملكة نازلي بمصر[27] لمعالجة للفقراء وخصص مائة جنيه سنويًا جوائز للمتفوقين من طلبة مدارس مجلس مديرية المنيا غير بعض مرتبات خصصت للفقراء والمساكين تصرف ايام الاعياد والمواسم كما وقف ايضا فدانين لصيانة مسجد قليني فهمي باشا (لوحة:١٠) بمغاغة سنة ١٣٤٤هـ الموافق سنة ١٩٢٦".[28]

لوحة٧: المدخل المؤدي الى المدراس ولوحة الوقفية كما هي حاليًا- تصوير علي السيد

لوحة ٨: منظر جانبي لقصر قليني فهمي باشا بمغاغة والذي وقفه ليكون مستشفى للسيدات، عن(فهمي باشا،١٩٣٤)

[27]المستشفى القبطي الكائن بشارع رمسيس حاليًا بالقاهرة.

[28]هذا النص المنقوش اغنانا ان نرجع إلى وثيقة الوقف التي لم يستطع الباحث الاطلاع عليها؛ لما في ذلك من عناء وصعوبة بالغة من الاجراءات بدار الوثائق القومية.

لوحة ٩: قصر قليني فهمي باشا بحلوان والذي زاره فيه الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت، عن(فهمي باشا،١٩٣٤)

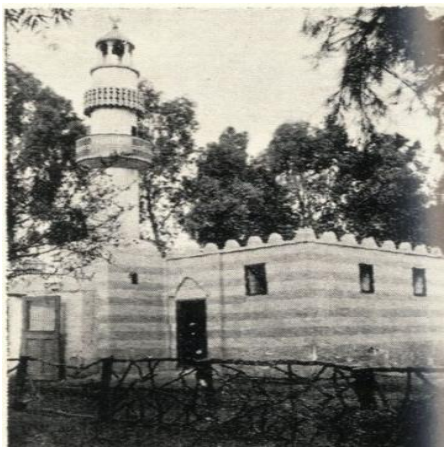

لوحة ١٠: مسجد قليني فهمي باشا في روضة قليني بمغاغة، عن(فهمي باشا،١٩٣٤)

فعلى الارض التي وهبها قليني فهمي باشا اليوم بقيت منشآت عديدة ما بين مستشفى مغاغة العام والتي كانت قصره في مغاغة (لوحة:١١)، ومدرسة مغاغة الاعدادية بنين (لوحة:١٢)، وبداخلها مدرسة اخرى مهجورة، ومستشفى مهجورة أخرى تقع خلفها، بالإضافة إلى مدرسة لضعاف السمع والنظر، ومدرسة مغاغة الاميرية الثانوية بنين (لوحة:١٣)، بالإضافة إلى مدرسة ثانوية جديدة هناك أيضًا، ومدرسة ابتدائية، وأرض استعملت كملعب رياضي، والمسجد الذي يحمل حاليًا اسم مسجد خالد بن الوليد (لوحة:١٤)، كل ذلك كان من أملاك قليني فهمي باشا.

لوحة ١١: واجهة مستشفى مغاغة العام حاليًا، والتي كانت في السابق قصر قليني فهمي باشا- تصوير علي السيد

لوحة ١٢: مدرسة مغاغة الاعدادية بنين (قليني فهمي باشا الاولية سابقا) بجانب المستشفى العام- تصوير علي السيد

لوحة ١٣: مدرسة مغاغة الثانوية الأميرية والمنشأة على أرض أوقاف قليني فهمي باشا، وكان أسمها مدرسة الاميرة فايزة الابتدائية للبنات وافتتحت في ٣١ مارس عام ١٩٣٤م- تصوير علي السيد

لوحة ١٤: مسجد قليني فهمي باشا الذي أصبح اليوم مسجد خالد بن الوليد، وتغيرت معالمه خصوصًا المئذنة- تصوير علي السيد.

النتائج:

- إن قليني فهمي باشا شخصية وطنية من صعيد مصر التزمت بواجبها الوطني، ما يجعله رمز من رموز الوطنية المصرية.
- ارتبط قليني فهمي باشا بمسقط رأسه في المنيا طول حياته وحتى بعد وفاته بالوقف الخيري الذي أوقفه هناك لأبناء المنيا.
- أن قليني فهمي باشا شخصية إدارية ناجحة قادت مؤسسات وهيئات عديدة في الدولة المصرية في فترة تاريخية مهمة.
- لعب دورًا سياسيا مهمًا لكونه حلقة الوصل بين الكنيسة القبطية الارثوذكسية وبين حاكم مصر، كما كان له دور في رفع الضغوط عن كاهل الفلاحين.
- تعد مؤلفات قليني فهمي باشا مصادر تاريخية مهمة، تروي تاريخ مصر في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، من زاوية مختلفة وبتفاصيل مهمة.
- أن الوقف الخيري الذي أوقفه وأعماله الخيرية ما زالت موجودة حتى الآن، بالرغم من تغيير مسمياتها.
- يعد رمز من رموز الوحدة الوطنية بإنشائه مسجد مازال قائمًا حتى اليوم ولكن تغير اسمه.

التوصيات:

- يجب استغلال سيرة قليني فهمي باشا الزاخرة بالمواقف التاريخية والوطنية وتوظيفها في مجال الارشاد السياحي، لأحداث تنوع في المعلومة ولكون شخصية وطنية من نوع فريد.
- يجب أن تكون سيرة قليني فهمي باشا حاضرة في البرامج السياحية للمنيا سواء للأجانب أو المصريين.
- تنظيم جولات سياحية سيرًا على الاقدام في مسقط رأس قليني باشا بمركز مغاغة في المنيا، بحيث تزار مواقع الأوقاف التي أوقفها خصوصًا المسجد، لرفع روح الوحدة الوطنية.
- على المرشدين السياحيين استغلال المرور بجانب أي من المنشآت التي أوقفها أو شارك في إنشائها قليني فهمي باشا لذكر دوره وأعماله كرمز من رموز التسامح والتعايش بين عنصري الوطن.
- إن سيرة قليني فهمي باشا تحتاج إلى مزيد من الدراسات التاريخية، لتفنيد رواياته التاريخية وتحقيقها.

المصادر والمراجع العربية:

- آصاف، يوسف. (١٨٩٠) دليل مصر. القاهرة. المطبعة العمومية بمصر.
- البستاني، يوسف توما. (ب. ت)، تاريخ حرب البلقان الأولى. القاهرة. مطبعة الهلال.
- الرافعي، عبد الرحمن. (١٩٨٩) عصر محمد علي. القاهرة. دار المعارف.
- الطنطاوي، مرسي شاكر. (١٩٣٣) قليني باشا فهمي في مرآة التاريخ. القاهرة. مطبعة الفتوح.
- جريدة الأهرام. ١٩٥٤/١/١٧م، العدد ٢٤٥٣٠.(مقال بعنوان السيد قليني فهمي).

- جريدة البيان. ١٩١٤/٦/٣٠م. العدد ١٨. (مقال بعنوان قليني باشا فهمي: أحد النواب عن المصريين الأقباط في الجمعية التشريعية).
- جريدة اللطائف المصورة. ١٩٢٤/٤/٧م. العدد٤٧٨. (مقال مصر تفقد رجلا عظيما- المرحوم يوسف باشا سابا).
- حسني، سعيدة محمد. (٢٠١٧) محاضر مجلس شورى النواب: الهيئة النيابية الرابعة ١٨٨١-١٨٨٢. ج ٤. القاهرة. دار الكتب والوثائق القومية.
- دار الوثائق القومية. وثيقة كشف بيان الرتب الممنوحة لموظفي نظارة المالية عام ١٩٠١م، كود ارشيفي رقم ٠٤٦٩١٨-٠٠٧٥:.
- شفيق، أحمد. (٢٠١٣) مذكراتي في نصف قرن. ج٢-ق١. القاهرة. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- عباس، رؤوف والدسوقي. عاصم (١٩٩٨) كبار الملاك والفلاحين في مصر ١٨٣٧-١٩٥٢. القاهرة. دار قباء.
- عبد المسيح، إبراهيم. (١٨٩٠) دليل وادي النيل لعامي ١٨٩١ و١٨٩٢. ب. ن.
- علي، محمد كرد. (٢٠١٠) المذكرات، ج ٢. الرياض. دار اضواء السلف.
- فكري، هند. (٢٠١٦) وثائق منح الرتب والنياشين والأوسمة والألقاب في مصر في القرنين ١٩/ ٢٠ م. القاهرة. دار الكتب والوثائق القومية.
- فهمي باشا، قليني. (١٩٣٤) مذكرات قليني فهمي باشا: خلاصة الحوادث في عهود الخديو إسماعيل والسلطان حسين وجلالة مولانا الملك فؤاد الأول. ج ٢. القاهرة. مطبعة مصر
- فهمي باشا، قليني. (١٩٣٧) آراء وذكريات في السياسة والاقتصاد والاجتماع. القاهرة. مطبعة المجلة الجديدة.
- فهمي باشا، قليني. (١٩٤٣) مذكرات قليني فهمي باشا: طرائف ونوادر عن بعض حوادث الماضي. ج ١. ب.ن.
- فهمي باشا، قليني. (١٩٤٣) مذكرات قليني فهمي باشا: على هامش التاريخ المصري الحديث بعض حوادث الماضي اقتراحات لمصلحة الوطن. القاهرة. مطبعة حليم.
- فهمي باشا، قليني. (١٩٤٧.أ) أعمال الملوك. القاهرة. مطبعة كوستاتسوماس وشركاه.
- فهمي باشا، قليني. (١٩٤٧.ب) الامير عمر طوسون حياته اثاره اعماله. القاهرة. مطبعة كوستا تسوماس.
- فهمي، زكي. (١٩٢٦)صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير مصر، القاهرة. مطبعة الاعتماد.
- مبارك، علي باشا. (٢٠٠٨) الخطط التوفيقية الجديدة، ج ١٦، القاهرة. مكتبة الاسرة.
- مصطفى، إنصاف عمر. (٢٠١١) سجل ذاكرة العالم ودوره في نشر التراث الوثائقي: التجربة المصرية. الروزنامة (العدد ٩). ٤٠٥:٤٢٨.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Carter, Barbara (1982) *Communalism in Egyptian politics: the experiences of the Copts 1918-1952*. Ph.D. Dissertation. School of oriental African studies. University of London.
- El-Gendy, Yosra. (2014) Citizenship Rights of Minority Rights: the development of the rights of Copts in Egypt. In *Just Peace Diplomacy Journal*. N.9. 37-72.
- FO.371/23362.(24/7/1939). *Lampson to Halifax. (Confidential No.855).*
- FO.371/53313. (8/10/1946). *Bowker to Bevin. (Confidential no.1051)*
- Goldschmidt, Arthur.(2000) *Biographical Dictionary of Modern Egypt*. London. Lynne Rienner Publishers.
- Goldschmidt, Arthur. (2005) Egyptian Histography 1919-1952. In A. Goldschmidt et al.(Eds.),*Re-envisioning Egypt 1919-52*,(pp. 466-491) Cairo. AUC Press.
- Hamada, Jaidaa G. (2014) Harem Years: A Chronicle of an Egyptian History:a New Historicist Reading of Huda Shaarawi's Memoirs.In *BFALEX*, Vol. 64, Issue 74, 1-31.
- Shaarawi, Huda (1987) *Harem Years: The Memoirs of an Egyptian Feminist 1879-1924*. translated and edited by Margot Badran. New York. Feminist Press.

- United States. Department of State(1868). *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*.vol.2. Washington.U.S. Government Printing Office.

Qallini Fahmi Pasha (1842-1954 AD): His Life and deeds.

Islam Asem Abdelkareim Biomy

Associate Professor – Tourist Guiding Department

The Higher Institute for Tourism and Hotels and Monuments Restoration, Abukir, Alexandria

Abstract

This research sheds light on one of the eminent men that represent the Egyptian national unity, Qallini Fahmi Pasha (1942-1954 AD), who grew up in Minya, educated in Cairo and got promoted until he became an influential figure in Egyptian politics and society. In spite of the importance of this political figure and its influence in an important and long historical period of more than half a century; However, historical studies did not shed light on his biography, deeds, and political and societal role, except from some few studies that referred to his books in a marginal way. Therefore, this research aims to study his biography and his most important deeds, through contemporary sources for the period of his life, and by referring to all his books and memoirs published in his life, which the researcher was able to reach, and extract what could be useful for the tourist guides to enrich their information, through the biography of Qallini Fahmy Pasha and his direct relationship with the rulers of Egypt, so that this study would be the first scientific study that deal with this national personality and make use of his biography in enriching the historical content of with one of the realistic examples that demonstrate the tolerance between the two elements of the nation Muslim and Christian, in particular. The study traced his charitable work, which is led to the mosque that bore his name in his hometown in Minya, so the researcher hope to open more fields of historical study of his memoirs related to various national issues.

Keywords: Christians, Copts, Minya, politics, charitable work, tolerance, national unity.